Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 7, No. 1, (Issue 13) Autumn & Winter 2023: 153-166
DOI: 10.30473/anb.2025.71976.1412

ORIGINAL ARTICLE

The Universality of the Qur'an: Between Absoluteness and Restriction in Nahj al-Balagha (An Analytical Study)

Asghar Tahmasebi Boldaji

Assistant professor of the Quranic Sciences and Hadith Department, Shahrekord University, Shahrekord, Iran.

Correspondence:
Asghar Tahmasebi Boldaji
Email:
Asghar.Tahmasebi@sku.ac.ir

Received: 06 Aug 2024
Accepted: 19 Nov 2025

How to cite
Tahmasebi Boldaji, A. (2023). The Universality of the Qur'an: Between Absoluteness and Restriction in Nahj al-Balagha (An Analytical Study). Current Studies in Nahj-ul-Balaghah, 7(1), 153-166.
(DOI: 10.30473/anb.2025.71976.1412)

ABSTRACT

The universality of the Qur'an is one of the most important topics addressed within the context of the Qur'an's message. Various opinions have been raised about it by religious thinkers, which can be divided into three categories: absolute universality, moderate universality, and minimal universality. These opinions and theories are linked to criticisms and challenges, the most important of which lies in the question of the independence of the universality of the Qur'an. Does the Qur'an itself possess universality, or does this universality develop in conjunction with other matters, such as the Prophetic Sunnah? This study, using a descriptive-analytical approach based on Nahj al-Balagha, presents this theory: First, the universality of the Qur'an is in matters of guidance, and in this area, it possesses absolute universality. Second, this universality is intrinsic and independent, meaning that the Qur'an, without needing any other source, possesses absolute comprehensiveness in matters of guidance. However, these Quranic knowledges and concepts are included within the framework of its apparent and hidden meanings, whereby its inner meaning is reserved for the Infallibles, who extract its knowledge with divine knowledge and teach it to people. Therefore, the source of the Ahl al-Bayt's narrations is also the Holy Quran. The research results confirm that Nahj al-Balagha refers to the Quran's universality in matters of guidance, and that the Quran possesses absolute, independent universality in this area. However, understanding this universality is unique to the Infallibles, while others can attain this universality by referring to the Quran and the Ahl al-Bayt.

KEYWORDS

Universality of the Quran, Imam Ali, Nahj al-Balagha, Ahl al-Bayt.

Copyright © 2023 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة السابع، العدد الأول (المتوالي ١٣) خريف و شتاء، ١٤٠٢ش/ ١٤٤٥ق. (١٦٦-١٥٣)

DOI: 10.30473/anb.2025.71976.1412

«مقاله پژوهشی»

جامعية القرآن بين الاطلاق والتقييد في نهج البلاغة (دراسة تحليلية)

أصغر طهماسبى البلداجى

الاستاذ المساعد، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة شهركرد، شهركرد، إيران.

المؤلف المسؤول:
أصغر طهماسبى البلداجى

بريد االكتروني:
Asghar.Tahmasebi@sku.ac.ir

تاريخ القبول: ١٤٤٦/٠٢/٠١
تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٥/٢٨

إرسال الاستشهاد إلى:
طهماسبى البلداجى، أصغر. جامعية القرآن بين الاطلاق والتقييد في نهج البلاغة (دراسة تحليلية). *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٧(١)، ١٦٦-١٥٣.
(DOI: 10.30473/anb.2025.71976.1412)

المخلص

إن جامعية القرآن هي واحدة من أهم المواضيع التي تُطرح في إطار رسالة القرآن؛ فقد أُثيرت حولها آراء متعددة من قِبَل المفكرين الدينيين، والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات: الجامعية المطلقة، الجامعية المعتدلة والجامعية الأدنى. وترتبط هذه الآراء والنظريات بانتقادات وتحديات، حيث تكمن أهم تحديات ونقد، في مسألة استقلالية جامعية القرآن، بمعنى هل أن القرآن في حد ذاته لديه جامعية أم أن هذه الجامعية تتشكل بالتزامن مع أمور أخرى مثل السنة النبوية؟ يقدم هذا البحث، بواسطة منهج الوصفي- التحليلي استنادًا إلى نهج البلاغة، هذه النظرية: أولاً، إن جامعية القرآن في الأمور الإرشادية، وفي هذا المجال يمتلك الجامعية المطلقة؛ ثانياً، فإن هذه الجامعية، ذاتية واستقلالية، بمعنى أن القرآن بدون حاجة إلى أي مصدر آخر، لديه شمولية مطلقة في الأمور الإرشادية؛ ولكن مفاهيم القرآن ومعارفه قد أُدرجت في إطار ظاهره وباطنه، حيث أن باطنه يختص بالمعصومين الذين يستخرجون معارفه بعلم لدني ويعلّمونها الناسَ. وبالتالي، فإن مصدر روايات أهل البيت هو أيضاً القرآن الكريم. نتيجة البحث تؤكد أن في نهج البلاغة تم الإشارة إلى جامعية القرآن في الأمور الإرشادية، وأن القرآن في هذا المجال يمتلك جامعية مطلقة باستقلال. لكن فهم هذه الجامعية يختص بالمعصومين، أما الآخرون فيمكنهم الوصول إلى هذه الجامعية من خلال الرجوع إلى القرآن وأهل البيت.

الكلمات الدليلية:
جامعية القرآن، الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة، أهل البيت (ع).

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٤٥. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

يتم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

المقدمة

إنّ جامعية القرآن من القضايا التي أثيرت حول رسالة القرآن وتوقع الإنسان من الدين، وهناك خلاف بين المفكرين الإسلاميين حول كمية وكيفية جامعية القرآن. يعود تاريخ إثارة جامعية القرآن إلى زمن الصحابة (ابن منصور، ١٤١٤ق: ٧/١) ُطبعاً منذ عهد الإمام علي (ع) (نهج البلاغه: الخطبة١١٠) والأئمة من بعده (الكليني،١٣٦٢ش: ٦٠/١) قيلت بعض الأشياء عن نوعية الجامعية للقرآن. تعبر الآيات والروايات عن الجامعية المطلقة بمعنى الاستجابة الكاملة للقرآن لاحتياجات الهداية التي تشمل جميع جوانب الحياة البشرية. هناك اختلاف في الرأي بين المفكرين الإسلاميين حول كمية ونوعية الجامعية، وفي هذا الصدد هناك ثلاث وجهات نظر مهمة: أقصى الجامعية للقرآن يعني تغطية القرآن على جميع العلوم، والجامعية الشاملة للقرآن والحد الأدنى من جامعية القرآن يعني معالجة القضايا الأخروية. تواجه كل من وجهات النظر هذه تحديات وانتقادات. تعبر الآيات والروايات عن الجامعية المطلقة لمعنى الاستجابة الكاملة للقرآن لاحتياجات الهداية التي تشمل جميع جوانب الحياة البشرية. بالنظر إلى الآيات والروايات حول الجامعية المطلقة للقرآن في مسائل الهداية، يتبين أنه لا يمكن استخلاص جميع القضايا الدينية من ظاهر القرآن من خلال فحص البنية الظاهرية للقرآن؛ بمعنى آخر إنّ القرآن ليس شاملاً وجامعاً حتى في الأمور الدينية، أي أنه لا يمكن التعبير عن القواعد والتعاليم الدينية بالقرآن وحده. على سبيل المثال، القواعد العملية مثل الصلاة والصوم والحج مذكورة بشكل عام في القرآن، وقواعدها التفصيلية غير مذكورة في القرآن. إذا كان القرآن جامعاً بالسنة النبوية، فإن جامعية القرآن ليست مستقلة، أي أنه أصبح شاملاً وجامعاً بسبب السنة النبوية، هذا بينما تعبر آيات القرآن وخاصة روايات المعصومين (ع) عن الجامعية المطلقة للقرآن في الاوامر الإرشادية؛ أي أن ما يمكن استخلاصه من الآيات والأحاديث أن القرآن له شمولية مطلقة في المسائل الارشادية والدينية دون الحاجة إلى أي مصدر، وهذا دليل على أن معارفه تتجلى في ظاهر الآيات وباطنها. تحلل الدراسة الحالية هذه المسألة بمنهج تحليلي مع التركيز على تعاليم الإمام علي (ع) في نهج البلاغة وبالرجوع إلى آيات القرآن وروايات أهل البيت (ع)، وبالاستناد إلى ادلة القرآنيه والروائية، يعبر عن جامعية المطلقة للقرآن في مسائل الهداية وإسنادها لأهل البيت (ع).

خلفية البحث

تم إجراء العديد من الأبحاث حول جامعية القرآن وكيفية إجرائه، وقد قام كل منها بفحص هذه المسألة من زاوية مختلفة، حيث تم اقتراح وجهات النظر القصوى والتوجيهية والصغرى في هذا الصدد. بعض الأبحاث حول الجامعية مستقلة وقائمة على كل حالة على حدة (ايازى، ١٣٨٠ش، غضنفري، ١٣٩٦، مودب، عزتي فردوئي، اسمي قيه باشي، ١٣٩٥، نصيري، مناقب، خوب بين خوش نظر، ١٣٩٥، شفيعى، ١٣٩٢ش؛ روشن ضمير، ١٣٩٣ش) وبعضها تحت تفسير الآيات المتعلقة بالجامعية. (الطوسي، د.ت: ٤١٨/٦؛ الطبري، ١٤١٢ق: ١٠٩/٤؛ الطباطبايي، ١٤١٧ ق: ٣٢٥/١٢؛ الطبرسي، ١٣٧٢ش: ٥٨٧/٦؛ فخر الرازي، ١٤٢٠ق: ٢٥٩/٢؛ البيضاوي، ١٤١٨ق: ٢٣٨/٣؛ ابن عاشور، د.ت: ٢٠٥/١٣-٢٠٤؛ السبزواري النجفي، ١٤٠٦ق: ٢٥١/٤؛ آلوسي، ١٤١٥ق: ٢١٦/٧)

فيما يتعلق بجامعية القرآن من منظور نهج البلاغة، تناولت:

السيدة فاطمة مرضية حسيني كاشاني في بحث بعنوان: «جامعية القرآن من منظور نهج البلاغة» دراسة جودة جامعية القرآن من منظور نهج البلاغة، وفي نهاية المطاف توصلت إلى أن المقصود من جامعية القرآن هو احتواؤه على جميع العلوم. (حسينى كاشاني،١٤٠٠) وهذه النقطة ليست موضوع البحث الحالي.

السيدة فاطمة نقيبي في بحث بعنوان: «دراسة أدلة جامعية وخلود القرآن الكريم في نهج البلاغة» تناولت هذا الموضوع وبدون مناقشة كيفية جامعية القرآن، اكتفت بالإشارة إلى أدلتها. (نقيبي، ١٣٧٩ش) ومن بين الأبحاث التي أجريت، أولاً: لم يتم التمييز بين جامعية القرآن وجامعية الإسلام. ثانيًا: كيفية شمولها وحدودها ودور القرآن والروايات في هذه العملية لم يتم تحليلها ودراستها؛ كما أن معاني الأمور الإرشادية

وأمثلتها لم يرد ذكرها في مسألة شمولية الإسلام. ولذلك فإن هذا البحث، قد تناول هذه القضية بالتركيز على نهج البلاغة من جانبين: الأول: نوعية جامعية القرآن الكريم، والثاني: تحليل الجمهور لجامعية القرآن الكريم، وهو ما لم يتم بحث بهذا المنهج.

دراسة مفهوم جامعية القرآن

الجامعية في اللغة

كلمة الجامعية هي من أصل "جمع". توصل علماء اللغة إلى تعريفات مختلفة للكلمة. في معجم "مقاييس اللغة" تعني كلمة "جمع" بمعنى جمع أشياء منفصلة على محور شيء مشترك. (ابن فارس، د.ت: ٤٧٦/١) كما أعطى الراغب الأصفهاني نفس المعنى لكلمة "جمع" واعتبرها تعني ارتباط مكونات الشيء. (الراغب الاصفهاني، ١٤١٢ق: ص٢٠١) ويعتبر ابن منظور هذه الكلمة تعني التجمع، فيكتب في هذا الصدد: «الجمع جمع الشيء عن تفرقه يجمعه جمعا». (ابن منظور، ١٤٠٥هـ: ٤٩٨/١) استخدم بعض الباحثين الآخرون أيضًا كلمة الجمع لتعني التجميع. (القرشي، ١٣٧١ش: ٤٧/٢) كلمة "جامع" تعني أيضًا المتعلم. (السياح، ١٣٨٦ش: ص ٢٨٢)

مفهوم جامعية القرآن

لم يرد ذكر جامعية القرآن الذي يحمل نفس العنوان في المصادر الدينية، باستثناء حالة واحدة أشار فيها الإمام الحسين (ع) إلى القرآن الكريم بـ "الكتاب الجامع" في دعاء عرفة. حيث يقول: «وَمُنْزِلُ الْمَنافِعِ والْكِتابِ الْجامِعِ بِالنُّورِ السّاطِعِ وهُوَ لِلدَّعَواتِ سامِعٌ ولِلْكُرُباتِ دافِعٌ ولِلدَّرَجاتِ رافِعٌ» (ابن طاووس، ١٤١٤ق: ٧٤/٢)؛ ولكن هناك موضوعات قريبة منه، وتستخدم مصطلحات جوامع والجمع؛ في رواية الإمام الرضا (ع) في وصف القرآن استُخدمت كلمة "جميع" في وصف جامعية القرآن، فهو يقول في وصف جامعية القرآن: «جهِلَ الْقَوْمُ وخُدِعُوا عَنْ أَدْيَانِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ وأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ بَيَّنَ فِيهِ الْحَلَالَ والْحَرَامَ والْحُدُودَ والْأَحْكَامَ وجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ كَمَلا...» (الصدوق، ١٤٠٠ق: ص ٦٧٥)

لم يذكر في مؤلفات القدماء عنوان جامعية القرآن ولكن تم التطرق إلى هذه المسألة تحت عناوين أخرى. على سبيل المثال عبّر السيوطي عن هذا الأمر تحت عنوان «العلوم المستنبطه من القرآن». (السيوطي، د.ت: ١٦٤/٢) كما تطرق الزركشي إلى موضوع جامعية القرآن بعنوان «فصل فى القرآن علم الأولين والآخرين». (الزركشي، ٢٠٠١ م: ١٨٢/٢)

لقد تم إعطاء تعريفات مختلفة لمفهوم جامعية القرآن. يرتبط تعريف جامعية القرآن بطريقة ما برسالة القرآن، وما يجب أن يقوله القرآن وفي المجالات التي يجب أن يقدم فيها برنامجًا يمكن تطبيقه ليكون جامعا. أدى توقع البشر من القرآن والعديد من الآيات والروايات حول جامعية القرآن وأسس مواقفهم إلى تعاريف مختلفة لجامعية القرآن. يعتبر البعض جامعية القرآن كلها أموراً دينية وغير دينية، وبناءً على ذلك يتم توسيع تعريفهم للجامعية. في نظرهم تعريف جامعية القرآن بمعنى شموله وإدراجه في جميع العلوم. (الزركشي، ٢٠٠١ م: ٢٨/١؛ الغزالي، د.ت: ٣٨٤/١-٣٨٣)

واعتبر بعض المفكرين الآخرين أن نطاق جامعية القرآن هو بعده الإرشادي وأن تعريفهم مناسب للنطاق الإرشادي للقرآن. (الطوسي، د.ت: ٤١٨/٦؛ الطبري، ١٤١٢ق: ١٠٩/٤؛ الطباطبايي، ١٤١٧ق: ٣٢٥/١٢؛ الطبرسي، ١٣٧٢ش: ٥٨٧/٦؛ فخر الرازي، ١٤٢٠ق: ٢٥٩/٢؛ البيضاوي، ١٤١٨ق: ٢٣٨/٣؛ ابن عاشور، د.ت: ٢٠٥/١٣-٢٠٤؛ السبزواري النجفي، ١٤٠٦ق: ٢٥١/٤؛ آلوسي، ١٤١٥ق: ٢١٦/٧)

يعتقد الفريق الثالث أن القرآن يمتلك شمولية في الأمور الأخروية، لكنه ليس شاملاً في الأمور الدنيوية والمسائل المتعلقة بعالم الإنسان؛ من هذا المنظور يُشار إليه بشمولية الحد الأدنى. (السروش، ١٣٧٠ش: ص٤٨؛ عبدالرزاق، د.ت: ص ١٥٩؛ دروزه، ١٣٨٣ ق: ٩١/٦)

التعريف الذي يتم تقديمه في هذه الدراسة يتناسب مع رسالة القرآن وسموّ ذاته في شموليته، لذلك فإن تعريف جامعية القرآن هو: بيان كل ما يحتاجه البشر في مسير الهداية للوصول إلى الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة، حيث تتجلى هذه المعارف في ظاهره

وباطنه. وبناءً على هذا التعريف، أولاً، تم بيان جميع الأحكام والمعارف الدينية في القرآن. ثانياً، هذه المعارف تتجلى في ظاهره وباطنه، بمعنى أن القرآن هو مجموعة من الألفاظ والمعارف التي نزلت على قلب النبي، وأن معارفه ليست من نوع الألفاظ وإنما تم تضمينها في باطنه؛ ثالثاً، هذه الجامعية المطلقة تختص بالمعصومين الذين لديهم علم كامل بما في ظاهره وباطنه؛ وعلى هذا الأساس، فإن الروايات التي يتحدث بها المعصومون مستمدة من ظاهر وباطن القرآن. رابعاً، الآخرون (غير المعصومين) يمكنهم الوصول إلى هذه الجامعية المطلقة للقرآن من خلال التدبر والتفكر في ألفاظ القرآن والرجوع إلى المعصومين الذين لديهم إحاطة بباطن القرآن. سيتم ذكر أسباب إثبات هذا التعريف في الأقسام التالية.

– جامعية القرآن من وجهة نظر الإمام علي (ع)

جامعية القرآن في أحاديث الإمام علي (ع) بمعناه المطلق أي الاستجابة لجميع الحاجات الإرشادية للإنسان حتى يوم القيامة، تقوم على مبدأين هامين. وغني عن القول أن إثبات الجامعية المطلقة للقرآن وتخصيصه للمعصومين (ع) لا يعني أن الآخرين لا يستفيدون من القرآن؛ تؤكد تعاليم القرآن والمعصومين (ع) على الحاجة إلى التأمل والفهم والتفقه في القرآن، بما في ذلك الإمام علي (ع) في مسألة تعليم وتفقه القرآن: «وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ واسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ» (الخطبة١١٠) معنى إسناد الفهم إلى المعصومين (ع) هو فهم الظهر والبطن، وتأويل القرآن بمعناه الكامل. فمحاور الجامعية المطلقة للقرآن في نهج البلاغة هي:

–الجامعية المطلقة للقرآن في مسائل الهداية

الجامعية المطلقة للقرآن تعني تلبية القرآن لجميع الاحتياجات الإرشادية للإنسان. يوضح تحليل آيات القرآن وروايات المعصومين (ع) أن القرآن كتاب جامع في مسائل الهداية بمعنى أنه ليس هناك موضوع في مجال هداية البشر إلا إذا وقد تطرّقه القرآن. والنقطة المهمة هي أن القضايا الإرشادية ليست مجرد تعبير عن أمور العبادية والطقوس، بل هي تعبير عن كل ما هو مؤثر في السعادة البشرية الدنيوية والأخروية؛ وبهذه الطريقة فإن دائرة الأمثلة على جامعية القرآن في القضايا الإرشادية ترتبط بكل العوامل التي تؤثر على هداية الإنسان. لذلك فإن الرسالة الأساسية للقرآن هي الهداية، وفي هذا الصدد يجب أن تكون جامعة وشاملة، وأن هداية القرآن تشمل جميع جوانب حياة الإنسان. لذلك فإنّ القرآن الكريم شاملٌ في تناوله للأمور الإرشادية، غير أنّ تفصيل وإتمام تلك الأمور والقضايا الإرشادية الأخرى ورد في روايات المعصومين (ع). أي إنّ القرآن يكتمل في شموليّته للهداية عند جمعه مع أحاديث المعصومين (ع) ، لأنّ كثيرًا من تعاليم القرآن كامنة في باطنه، ولا يستطيع أحدٌ أن يستخرجها إلا المعصومون (ع).

وقد أكّد الإمام عليّ (ع) على شمولية القرآن المطلقة في المسائل الإرشادية، كما أشار إلى احتوائه على أخبار الغيب وما في السماوات والأرض. وفي مواقف مختلفة عبّر الإمام (ع) عن هذه الشمولية المطلقة واحتواء القرآن على المعارف العميقة.

وفي الخطبة الثامنة عشرة من نهج البلاغة، حين أدان الإمام عليّ (ع) القضاة الذين يحكمون نيابة عنهم ويختلفون فيما بينهم، قال إنّ الدين دينٌ كامل، وإنّ القرآن تبيانٌ لكلّ شيء، أي إنّ حتى أحكامهم يمكن الرجوع فيها إلى القرآن الكريم: «أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه واله عَنْ تَبْلِيغِهِ وأَدَائِهِ واللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ وقَالَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ولَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً وإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ولَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ ولَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ» (الخطبة١٨) لقد أكّد الإمام (ع) في هذه الرواية هذا الأمر المهمّ، وهو أنّ الله تعالى لم يُنزِل دينًا ناقصًا يحتاج إلى استكمالٍ بالاعتماد على أمورٍ أخرى كآراء الناس أو اجتهاداتهم، بل إنّ كلّ ما يُحتاج إليه لهداية البشر إلى يوم القيامة موجودٌ في هذا الكتاب السماويّ الأخير.

وفي موضعٍ آخر، يُعبّر الإمام (ع) عن شمولية القرآن المطلقة، إذ أكمَلَ اللهُ الدينَ من خلال هذا الكتاب العظيم، كما قال: «فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زاجِرٌ، وصامِتٌ ناطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، اءَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثاقَهُمْ، وارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ اءَنْفُسَهُمْ، اءَتَمَّ نُورَهُ، واءَكْمَلَ بِهِ

دِينَهُ، وقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ احْكامِ الْهُدى بِهِ» (الخطبة١٨٢)

في خطبة ١٩٨ ذكر حوالي اثنان وأربعين سمة من سمات القرآن الكريم تدل على عظمة هذا الكتاب السماوي الأخير وسمو معانيه وعمق لا نهاية له: «أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ومِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وبُحْبُوحَتُهُ ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ وبُحُورُهُ ورِيَاضُ الْعَدْلِ وغُدْرَانُهُ وأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وبُنْيَانُهُ وأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وغِيطَانُهُ وبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُون...» (الخطبة١٩٨) يقول في مكان آخر: «وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ وبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُه». (الخطبة١٣٣) وفي مكان آخر يذكر في أمثلة القرآن الإرشادية ومعناه الإرشادي الكامل: «وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ والْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ والْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ ومَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ ولَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ واسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وهُوَ الْكُفْرُ والنِّفَاقُ والْغَيُّ والضَّلَالُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ولَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ واعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ ومَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (الخطبة١٧٦)

في هذا الجزء من الخطبة، أشار الإمام (ع) إلى أمورٍ مهمةٍ تتعلّق بالقرآن الكريم؛ منها أنّ الإنسان لا يحتاج مع القرآن إلى شيءٍ آخر، وأنّه من دون القرآن يبقى في حاجةٍ ونقصٍ دائمين. ومن الواضح أنّ المقصود بالحاجة والغِنى هنا ليس الجانب الماديّ، بل الهداية الإلهية التي تتجلّى في القرآن الكريم.

فلو لم يكن القرآن جامعًا في الهداية، ولم يستطع أن يُبيّن طريق الرشاد، أو لم يكن الإنسان قادرًا على تحقيق السعادة والكمال في الدنيا والآخرة من خلاله، لما قال الإمام (ع) مثل هذا القول في حقّه. ثمّ يتابع الإمام حديثه مبيّنًا عظمة القرآن وأهميّته وما ينسجم مع مقامه الرفيع: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وأَتْبَاعِهِ واسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ واسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ واتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ واسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُم» (المصدر نفسه) وفي هذا البيان أيضًا، يُشير الإمام (ع) إلى أنّ الأعمال تُقبل يوم القيامة إذا كانت منسجمةً مع القرآن الكريم. ومن هنا، فإنّ الإمام عليّ (ع) يرى أنّ القرآن كتابٌ شاملٌ ذو جامعيّةٍ مطلقة، بمعنى أنّ جميع الحاجات الإرشادية للإنسان مبيَّنةٌ في هذا الكتاب الإلهي.

إلّا أنّ مسألة قدرة جميع الناس على استنباط كلّ التعاليم الإرشادية والدينية من القرآن بأنفسهم أمرٌ آخر، لم يُطرح في هذا السياق، وإنّما تناولها الإمام (ع) في مواضع أخرى، كما تدلّ على ذلك آيات القرآن الكريم وروايات المعصومين (ع) التي تؤكّد أنّ فهم أعماق القرآن واستخراج معانيه الباطنية من اختصاص أولياء الله المعصومين (ع).

– الجامعية المطلقة للقرآن خاصة بالمعصومين (ع)

تم التأكيد في أحاديث الإمام علي (ع) على التأمل في القرآن واستفادة الجميع منه: «تَعَلَّمُوا اَلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ اَلْحَدِيثِ وتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ اَلْقُلُوبِ واِسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ اَلصُّدُورِ وأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ اَلْقَصَصِ» (الخطبة١١٠) لكن الفهم المطلق للقرآن من ظهره وبطنه وتفسيره محجوز للمعصومين (ع) ، وقد ورد ذكر هذه النقطة الهامة في نهج البلاغة عدة مرات، بينما يؤكد الإمام علي (ع) على جامعية القرآن، يعتبر أن فهمه المطلق يختص به. كما يقول: «ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ولَنْ يَنْطِقَ ولَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي والْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ودَوَاءَ دَائِكُمْ ونَظْمَ مَا بَيْنَكُم» (الخطبة١٥٨) في هذا السرد فإن الاستجواب المطلق للقرآن الذي يكشف ظهر القرآن وبطنه ويعبر عن تعاليمه العميقة لم يُذكر تخصيصه لعامة الناس، لكن أمير المؤمنين (ع) في هذا الصدد اعتبر أن الفهم العميق للقرآن وتفسيره وتأويله خاصة به، يشير حرف "لَن" إلى النفي الأبدي، بمعنى أنه حتى يوم القيامة لا يمكن لأحد غير المعصومين (ع) أن يستجوب بشكل مطلق

ظهر القرآن وبطنه. في خطبة ١٥٣ يصف فضائل أهل البيت(ع) وعلاقتهم بالقرآن: «فيهِمْ كَرائِمُ الْقُرْآنِ، وهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ. اِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، واِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا. فَلْيَصْدُقْ رائِدٌ اَهْلَه» (الخطبة ١٥٣) الإمام علي (ع) في مكان آخر وفي الموقف القرآني لأهل البيت (ع) يعتبرونهم النماذج الوحيدة الثابتة في العلم الذين يعرفون بتفسير القرآن؛ حيث يقول: «اَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا اَنَّهُمُ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا؟! كَذِباً وبَغْياً عَلَيْنا، اَنْ رَفَعَنَا اللّهُ ووَضَعَهُمْ، واَعْطانا وحَرَمَهُمْ، واَدْخَلَنا واَخْرَجَهُمْ. بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدى، ويُسْتَجْلَى الْعَمى. اِنَّ الاَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْش، غُرِسُوا فى هذَا الْبَطْنِ مِنْ هاشِم، لا تَصْلُحُ عَلى سِواهُمْ، ولا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.» (الخطبة١٤٤) ويؤكد كلام الإمام علي (ع) في هذا الصدد انسجاما مع الأحاديث الأخرى على انحصار الراسخين في النبي (ص) وأهل البيت (ع) ، وعليه، فإن توسع حقل الراسخين إلى غير المعصومين هو ادعاء لا أساس له، لأن المقصود بالرسوخ فى العلم هو المعرفة الكاملة للمحكمات والمتشابهات والإحاطة العلمية بكل أبعادها وآفاقها والطبقات الظاهرية والبالطنية لمعارف القرآن. لا معرفة غير كاملة وقليلة من اجزاء القرآن. (الرشاد، ١٣٨٠ش: ١٩٣/١) لذلك في هذا المحور أيضًا فإن أهل البيت (ع) هم عالمون بظهر القرآن وبطنهم وينحصر الشمول المطلق للقرآن فيهم. إن الجمهور من العلماء يعتقدون أنّ الجامعية المطلقة للقرآن خاصة بالمعصومين بناءً على أدلة موثقة تثبت من ناحية الجامعية المطلقة للقرآن في مسائل الإرشادية ومن ناحية أخرى تأخذ بعين الاعتبار هذه الجامعية المطلقة للانتماء لأهل البيت (ع).

الأدلة على الجامعية المطلقة للقرآن في مسائل الهداية الخاصة بالمعصومين (ع)

بالتدقيق في الآيات والروايات التي وردت في جامعية القرآن يتضح أن القرآن الكريم له استقلالية متأصلة في الشمول المطلق في المسائل الإرشادية. مثل آيات: «وَيَوْمَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وجِئْنا بِكَ شَهيداً عَلى هؤُلاءِ ونَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وهُدىً ورَحْمَةً وبُشْرى لِلْمُسْلِمين» (النحل/٨٩)؛ «ما كانَ حَديثاً يُفْتَرى ولكِنْ تَصْديقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ وتَفْصيلَ كُلِّ شَيْءٍ وهُدىً ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون» (يوسف/١١١) إنها تذكر جيدًا أن القرآن هو تبيان وتفصيل لكل شيء وأن هذا التفسير للقرآن لا يقتصر على أي قيد. وقد ورد في روايات المعصومين (ع) الجامعية المطلقة لهداية القرآن، بما في ذلك هذه الروايات: «عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وأَنَا أَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ وفِيهِ بَدْءُ الْخَلْقِ ومَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وفِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وخَبَرُ الْأَرْضِ وخَبَرُ الْجَنَّةِ وخَبَرُ النَّارِ وخَبَرُ مَا كَانَ وخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ أَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ» (الكليني، ١٣٦٢ش: ٦٢/١)؛ «عَنْ مُرَازِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى واللَّهِ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ عَبْدٌ يَقُولُ لَوْ كَانَ هَذَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ- إِلَّا وقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِيهِ» (المصدر نفسه: ٦٠/١). من جهة أخرى وفي روايات المعصومين (ع) تم التأكيد على الجامعية المطلقة للمعصومين (ع). وهذا يعني أن جميع معارف ومحتويات جامعية الإسلام موجودة في القرآن ولكن لا يمكن للجميع استخلاص هذه التعاليم ولا يدرك هذا الأمر سوى المعصومين (ع). للقرآن الكريم جامعية مطلقة في شؤون الدين والدنيا للانسان، بالإضافة إلى تلك الجامعية فهو يتضمن معارف ومواضيع أخرى وفهمها المطلق والكامل خاص بالمعصومين (ع).

إن إسناد الجامعية المطلقة للقرآن إلى المعصومين (ع) لا يعني حرمان غيرهم من البشر من معارف القرآن ولكنه يعني أن فهم الظهر والبطن التفسير والتاويل للقرآن بمعناه الكامل للمعصومين (ع) ويستفيد الآخرون من هذه المعارف من خلال فهمهم ورتبتهم. يقول الإمام الصادق (ع) في تصنيف معارف القرآن في منهجه الموجه للجمهور: «كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ- عَلَى الْعِبَارَةِ والْإِشَارَةِ واللَّطَائِفِ والْحَقَائِقِ- فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِّ والْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ- واللَّطَائِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ والْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاء.» (المجلسي، ١٤٠٣هـ: ٣٣٨/٤٧) هذا الرأي مدعوم بأدلة المشار إليها أدناه.

روايات المعصومين (ع) في الجامعية المطلقة للقرآن

ومن الأدلة الصحيحة على الشمولية المطلقة للقرآن بالنسبة للمعصومين (ع) كلام هؤلاء النبلاء أنفسهم في هذا الصدد. أولاً:

وصف المعصومون (ع) القرآن بأنه كتاب شامل وجامع، وثانيًا اعتبروا هذه الجامعية بمعناها الكامل والمطلق على أنها خاصة بهم. وقد تعددت الروايات في هذا المجال مع التأكيد على الجامعية المطلقة للقرآن، فإنها تقدمه إلى المعصومين (ع) ، ويقول الإمام علي (ع) في هذا الصدد: «ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ولَنْ يَنْطِقَ ولَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي والْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ودَوَاءَ دَائِكُمْ ونَظْمَ مَا بَيْنَكُم» (الخطبة١٥٨)

في بعض الروايات يعرف القرآن على أنه يحتوي على أخبار الماضي والمستقبل ومعرفة هذا الأمر المهم خاص بالمعصومين (ع)؛ يقول الإمام الصادق (ع) في هذا الصدد: «كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وفَصْلُ مَا بَيْنَكُمْ ونَحْنُ نَعْلَمُهُ» (الكليني، ١٣٦٢ش: ٦٢/١)؛ «عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ خَتَمَ بِنَبِيِّكُمُ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ أَبَداً وخَتَمَ بِكِتَابِكُمُ الْكُتُبَ فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ أَبَداً وأَنْزَلَ فِيهِ تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ وخَلْقَكُمْ وخَلْقَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ ونَبَأَ مَا قَبْلَكُمْ وفَصْلَ مَا بَيْنَكُمْ وخَبَرَ مَا بَعْدَكُمْ وأَمْرَ الْجَنَّةِ والنَّارِ ومَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْه» (نفس المصدر: ٢٦٩/١)

تشير بعض الروايات الأخرى إلى الجامعية المطلقة للقرآن، لكن الآخرين غير قادرين (تمامًا) على الوصول إلى هذه النقطة: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ إِلَّا ولَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ولَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجَالِ» (نفس المصدر: ٦١/١) يطلب الإمام علي (ع) أثناء تقديمه الجامعية المطلقة للقرآن من جمهوره أن يسأله عن هذا: «عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ شَهِدْتُ عَلِيّاً وهُوَ يَخْطُبُ ويَقُولُ: سَلُونِي فَوَ اللَّهِ لَا تَسْأَلُونِّي عَنْ شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا حَدَّثْتُكُمْ [بِهِ] وسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَوَ اللَّهِ مَا مِنْهُ آيَةٌ إِلَّا وأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ- بِلَيْلٍ أَوْ بِنَهَارٍ أَوْ بِسَهْلٍ نَزَلَتْ أَوْ فِي جَبَل» (الحاكم الحسكاني، ١٤١١ ق: ٤٣/١) في هذا الرواية يطلب الإمام من الناس أن يسألوه أي سؤال، كلمة "سلوني" مطلقة وتشمل كل شيء بما في ذلك علم ظهر وبطن القرآن ومبادئه الإرشادية كاملة، فيما يلي يشير الإمام إلى بعض مظاهر هذا السؤال ومنها تاريخ نزول الآيات وكيفية نزولها. هذا لا يعني أن عليهم أن يسألوا فقط من وقت نزول الآيات، ولكن مهما كانت لديهم أسئلة حول القرآن، فعليهم أن يسألوا الإمام لأنه عالم بتفاصيل نزول الآيات أيضا.

في بعض الروايات نفي المطالبون بالجامعية المطلقة للقرآن، ولم يصرح هذا الامر إلا للمعصومين (ع): «عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ ظَاهِرِهِ وبَاطِنِهِ غَيْرُ الْأَوْصِيَاء») الكليني، ١٣٦٢ش: ٢٢٩/١ (بعض روايات تذكر حقيقة وجوهر القرآن وتعتبر أن تأويله وتفسيره خاص بالمعصومين (ع): «عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ أَحَدِهِمَا ع فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ؛ فَرَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ والتَّأْوِيلِ ومَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ وأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ والَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ إِذَا قَالَ الْعَالِمُ فِيهِ بِعِلْمٍ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا والْقُرْآنُ لَهُ خَاصٌّ وعَامٌّ ومُحْكَمٌ ومُتَشَابِهٌ وناسِخٌ ومَنْسُوخٌ والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَه» (المجلسي، ١٤٠٣ق: ٢٠٠/٢٣) بعض روايات تذكر حقيقة وجوهر القرآن وتعتبر أن تأويله وتفسيره خاص بالمعصومين (ع): «إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِه» (الحر العاملي، ١٤٠٩ق: ١٣٦/١٨) أن أسرار القرآن ومحتوياته لا يفهمها ولا يعرفها إلا جمهور القرآن الأساسي وهم رسول الله (ص) واهل البيت (ع). كل هذه الروايات تنص على الجامعية المطلقة للقرآن الكريم، وهذه الشمولية المطلقة خاصة بالمعصومين (ع).

السلطة العلمية لأهل البيت (ع) في القرآن

أهل البيت (ع) هم المرجع الوحيد المطلق لتفسير القرآن، إنّ أهل البيت (ع) يفسر ويبين حقيقة القرآن وتعاليمه. لذلك من أجل معرفة تعاليم القرآن سواء كان ظهر القرآن أو بطن القرآن لا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال أهل البيت عليهم السلام؛ وقد تم شرح السلطة العلمية لأهل البيت (ع) وتبيينها في عدة آيات وأحاديث. تنص هذه المرجعية العلمية على أن القرآن يحتوي على

علوم وتعاليم تنص جامعيته المطلقة؛ على أن هذه الجامعية خاصة بالمعصومين (ع). فيما يلي ذكر السلطة العلمية لأهل البيت بالإشارة إلى آيات القرآن الكريم وروايات المعتبرة.

أهل البيت أو معدن العلم والحكمة

من الآيات الأكثر وضوحا الّتي تنص على السلطة العلمية لأهل البيت (ع) بمعنى معرفتهم المطلقة بالقرآن هي الآية ٤٩ من العنكبوت: «بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الظَّالِمُونَ» قد جاء الكليني في كتابه الكافى باباً اسمه «ان الائمه قد اوتو العلم واثبت فى صدورهم» وفي تفسير هذه الآية ذكر أحاديث على شرف أهل البيت (ع): «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ- بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ قَالَ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام»؛ «وَ عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ قَالَ إِيَّانَا عَنَى الْأَئِمَّةَ مِنْ آلِ مُحَمَّد» (الكليني، ١٣٦٢ش: ١/٢١٥) قدم الإمام علي (ع) أهل البيت(ع) باعتبارهم الوحيدين الذين اعتبروا الدين كما يستحقه وتعلموا كما قدمهم كأركان للدين: «هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ [حُكْمِ مَنْطِقِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ ولَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ووَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ [مَقَامِهِ وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ ورِعَايَةٍ لَا عَقْلَ سَمَاعٍ ورِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَهُ قَلِيل» (الخطبة٢٣٩) من جهة أخرى يذكرهم الإمام (ع) في توبيخ الناس بوجود أهل البيت (ع) بينهم، ويعرّفهم على أنهم حكام الحق وآيات الدين، ويطلب من الناس أن يلجؤوا إليهم لإرشادهم وسعادتهم مثل الإبل التي تلجأ إلى الماء: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وأَنَّى تُؤْفَكُونَ والْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ والْآيَاتُ وَاضِحَةٌ والْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وكَيْفَ تَعْمَهُونَ وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وأَعْلَامُ الدِّينِ وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ» (الخطبة ٨٧) مما لا شك فيه أنه إذا كان الجميع يهتدون بالاعتماد على القرآن، فلن تكون هناك حاجة للإمام (ع) لتشجيع الناس على اهل البيت (ع) للهداية والتعريف بهم كأركان للدين. وهذا يدل على أن القرآن يحتاج لمفسر ومبيّن، للقرآن ظاهر واطن، محكم ومتشابه وتفسير وتأويل؛ وفقط أهل البيت (ع) هم من يدركون هذه الحالات تمامًا وقد وفر لهم الله هذه المعرفة وسيجد الناس الطريق الصحيح للهداية والسعادة بالرجوع إليهم.

أهل بيت (ع) أو الرّاسخون فى العلم

ومن فضائل أهل البيت (عليهم السلام) الأخرى التي تدل على علم هؤلاء النبلاء بالقرآن الآية السابعة من آل عمران: «هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وابْتِغاءَ تَأْويلِهِ وما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاَّ اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ» (آل عمران/٧)

الإمام علي في الموقف القرآني لأهل البيت (ع) يعتبرهم المثال الوحيد لراسخين في العلم؛ الذين قادرون على تفسير القرآن، حيث يقول: «اَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا اَنَّهُمُ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ دُونَنا؟! كَذِباً وبَغْياً عَلَيْنا، اَنْ رَفَعَنَا اللهُ ووَضَعَهُمْ، واَعْطانا وحَرَمَهُمْ، واَدْخَلَنا واَخْرَجَهُمْ. بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدى، ويُسْتَجْلَى الْعَمى. اِنَّ الأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْش، غُرِسُوا فى هذَا الْبَطْنِ مِنْ هاشِم، لا تَصْلُحُ عَلى سِواهُمْ، ولا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ» (الخطبة ١٤٤) يقول الإمام علي (ع) عن سمة الراسخين في العلم وهم أهل البيت (ع): لقد مدحهم الله على اعترافهم بالعجز عن الغيب وما لا يعلمون، وتركهم الفهم العميق لما لم يلزمهم الله به: «وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً» (الخطبة ٩١) يمكن الاستدلال من قول الإمام (ع) أن الراسخين في العلم لا يعرفون تفسير وتأويل الآيات، إذا لم يكن المراد من الغيب في هذا التفسير تأويل الآيات، بل هو معرفة بشيء لا يملك إلا الله تعالى علمه. يوضح الإمام (ع) في مكان آخر أن معنى الغيب هو معرفة بوقت القيامة وما في الارحام ومثل هذه الحالات لا مثل عدم

العلم بتأويل الآيات وغيرها، والإمام لا يعتبر هذه الأمور من علم الغيب، بل يقدمها كعلم علمه النبي (ص): «فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ فَضَحِكَ عليه السلام وقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيّاً يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ وإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وما عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ- إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الْغَيْثَ ويَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ الْآيَةَ فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ومَنْ يَكُونُ [لِلنَّارِ فِي النَّارِ حَطَباً أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ومَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلوات الله عليه وآله وسلم فَعَلَّمَنِيهِ ودَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي» (الخطبة ١٢٨) لذلك فإن دلالة الآية في علم أهل البيت (ع) في تفسير الآيات واضح، من الممكن النظر في جزء من معارف وعلوم القرآن بما في ذلك هذا التفسير للآيات المرتبط بالجامعية المطلقة للقرآن.

أهل البيت (ع) أو ثقل القرآن

ومن الأشياء الأخرى التي تدل على السلطة العلمية لأهل البيت(ع) فيما يتعلق بالقرآن الكريم ثقل القرآن وأهل البيت(ع). وتوجد في هذا الصدد روايات عديدة وموثوقة تنص على أنه يعبر عن عدم الافتراق بين القرآن وأهل البيت (ع). وكررت بعض هذه الروايات مثل حديث ثقلين مرارا. يقول النبي الكريم (ص) في حديث ثقلين المشهور والمعروف: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ وعِتْرَتِي؛ أَهْلَ بَيْتِي وإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» (مسلم، د.ت: ١٨٧٣/٢؛ الترمذي، ١٤٢٥هـ: ٦٦٣/٥) في هذا الحديث فإن التمسک بأهل البيت (ع) مع القرآن شرط من شروط عدم الضلال، وذلك لأن أهل البيت (ع) نسخة أخرى من القرآن ومبين لكتاب الله وكل افكارهم متوافقة مع كتاب الله. وهو كتاب يهتدي إلى الصراط المستقيم وغيره الضلال، حتى إذا اكتشف شخص حقيقة من القرآن وهدى فقد استفاد بنفس القدر من تبيين أهل البيت (ع) وهدايتهم. وعلاوة على ذلك، فإن تفسير اهل البيت(ع) من القرآن لا يخضع للخطأ، وإلا فلن يكون هناك ما يضمن عدم الضلال بالتمسک بهم، ومرة أخرى هم وحدهم على علم بكل المعارف وتعاليم القرآن ومعانيه بجميع مستوياته، لأنهم إذا كانوا يجهلون بعض معارفه فإنهم يفصلون عن القرآن في ذلك الجزء، إلا أن نبي الله (ص) أنكر هذا التفريق. (نجار زادكان، ١٣٨٧ش: ص ٦٤-٦٥)

لذلك فإن القرآن الكريم وحده لا يكفي للتخلص من الضلال، لأنه لم يتم تفصيل جميع المعارف فيه، ويحتاج إلى مفسر ومبين، لكن أهل البيت (ع) هم مفسرون على علم بكل معاني القرآن الكريم. (البابايى، ١٣٩٢ش: ٦٦/١) بمعنى آخر إن للقرآن الكريم ليست جامعية مطلقة للجمهور، لأنه لو اتضحت الجامعية المطلقة للقرآن لم يعرف النبي الكريم (ص) ثقلا آخر إلى جانبه وشرط الهداية والنجاة من الضلال. يتضح من هذا القول أن تبيين حدود القرآن وتفاصيله ومعارفه وقواعده العامة هو مسؤولية المعصومين (ع) ، وكلماتهم تحدد عموميات القرآن وتقيد مطلقاته. إن الاستشهاد بالقرآن للإيمان بأصول العقيدة وممارسة فروع الدين دون الرجوع إلى الروايات لا قيمة له، وفي الحقيقة التحدث عن مجموع الثقلين هو تحدث الإسلام وليس كلمة أحدهما فقط. (الجوادى الآملى، ١٣٩٢ش: ص ٢٤٥) وهناك روايات عديدة أخرى تدل على عدم الافتراق بين القرآن وأهل البيت(ع)، وبعض هذه الروايات تشير إلى الإمام علي (ع) وبعضها الآخر يشير إلى أهل البيت (ع) مطلقة: «عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ والْقُرْآنُ مَعَهُ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض» (الحاكم النيشابوري، لا تا: ١٢٤/٣؛ الهيثمي، لاتا: ص١٢٢)؛ «هُمْ مَعَ الْقُرْآنِ لَا يُفَارِقُونَهُ ولَا يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْض.» (الكلينى، ١٣٦٢ش: ١٩١/١؛ الحموئي الجويني، ٣١٤/١) لذلك يستنتج من جميع الروايات في هذا الصدد أن القرآن أولاً وقبل كل شيء لا يشتمل على الجامعية المطلقة لغير المعصومين (ع) بمعنى أنه لا يمكن للجميع استخلاص تعاليم القرآن بشكل مطلق. ثانيًا إن ثقل أهل البيت (ع) للقرآن جامعية مطلقة لأهل البيت (ع) أنه يمكن تجنب الضلال وتحقيق السعادة والكمال باستخدام معارف القرآن وأهل البيت (ع).

السيرة العلمية والعملية لأهل البيت (ع)

من خلال مراجعة السيرة العلمية والعملية لأهل البيت (ع) حول القرآن الكريم يتضح أن أهل البيت (ع) قد ذكروا القرآن ككتاب شامل واعتبروا أنه يشمل كل ما يحتاجه الإنسان في الأمور الدنيوية والأخروية، كما نصوا في القرآن على الغيب وأخبار السماوات والأرض: «عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم وأَنَا أَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ وفِيهِ بَدْءُ الْخَلْقِ ومَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وفِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وخَبَرُ الْأَرْضِ وخَبَرُ الْجَنَّةِ وخَبَرُ النَّارِ وخَبَرُ مَا كَانَ وخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ أَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ» (الكليني، ١٣٦٢ش: ٦٢/١) «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى واللَّهِ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ عَبْدٌ يَقُولُ لَوْ كَانَ هَذَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ- إِلَّا وقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِيهِ» (المصدر نفسه: ٦٠/١)

من ناحية أخرى في السيرة العلمية للمعصومين (ع) تم تقديمهم على أنهم أولئك الذين أحاطوا بهذه الجامعية المطلقة وأبدوا سلطتهم على القرآن. والظاهر من الحياة العلمية والعملية لأهل البيت (ع) هو تطويقهم العلمي للقرآن والإجابة على أسئلة الناس بالاستشهاد بالقرآن وقد نقل عن الإمام الرضا (ع) ما يلي: «إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ يَقُول مَا رَأَيْتُ الرِّضَا ع سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا عَلِمَهُ ولَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِمَا كَانَ فِي الزَّمَانِ إِلَى وَقْتِهِ وعَصْرِهِ وكَانَ الْمَأْمُونُ يَمْتَحِنُهُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةٍ بِالسُّؤَالِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَيُجِيبُ فِيهِ وكَانَ كَلَامُهُ وجَوَابُهُ وتَمْثِيلُهُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وكَانَ يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ ويَقُولُ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْتِمَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ لَخَتَمْتُ ولَكِنْ مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ قَطُّ إِلَّا فَكَّرْتُ فِيهَا وفِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ وفِي أَيِّ وَقْتٍ فَلِذَلِكَ صِرْتُ أَخْتِمُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.» (الصدوق، ١٤٠٠هـ: ص٦٩٠) يذكر في هذا الخبر كلام وجواب وتمثيل الإمام الرضا (ع) بالقرآن وهذا يدل على أنهم كانوا محاطين تمامًا بالقرآن ومعارفه التي عبروا بها عن كل شيء. في السيرة العلمية لأهل البيت (ع) يتم التأكيد على أن الناس يجب أن يسألوا ما يريدون من كتاب الله وسيجيب عليه أهل البيت (ع).

في السيرة العملية لأهل البيت (ع) هناك أيضًا مظاهر الجامعية المطلقة للقرآن لأهل البيت (ع) لأن القرآن الكريم – ظاهره أم باطنه – كان المصدر الأول والرئيسي لأهل البيت (ع) في الإجابة على أسئلة الناس في جميع المجالات ومنها: «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَاسْأَلُونِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله نَهَى عَنِ الْقِيلِ والْقَالِ وفَسَادِ الْمَالِ وكَثْرَةِ السُّؤَالِ فَقِيلَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ- لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وقَالَ ولا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً وقَالَ لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم» (الكليني، ١٣٦٢ش: ٦١/١) الروايات المنقولة عن الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مثال على تفسير آيات القرآن، فموضوعها موثق في القرآن، هو يستشهد في شرح الاختبار الإلهي بالقرآن الكريم: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ ولَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ- واعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ومَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ [سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ والْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ والرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ وإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ولَكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ والْعِقَابُ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ ويَكْرَهُ الْإِنَاثَ وبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ ويَكْرَهُ انْثِلَامَ الْحَالِ» (نهج البلاغة، الحكمة ٩٣) في مكان آخر يحتوي سياق خطاب الإمام على موضوع قرآني«وَ قَالَ عليه السلام كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً وبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً وسُئِلَ ع عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى- فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً فَقَالَ هِيَ الْقَنَاعَةُ» (المصدر نفسه: الحكمة ٢٢٩)؛ وفي موضع آخر من تفسير الزهد يستشهد بالقرآن الكريم ويقول: «الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ ومَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي ولَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ» (الحكمة ٤٣٩) في كل هذه الحالات يوثق الإمام (عل) القرآن الكريم وهو علامة مهمة على تطويقه العلمي لظهر القرآن وبطنه ومعارفه العميقة. وطبعًا وردت في بعض الروايات سنة النبي (ص) مع القرآن كمصدر للدين، وهو أيضًا مبني على القرآن الكريم. لذلك فإن السيرة العلمية والعملية لأهل البيت (ع) تعبر عن أهمية أن يكون للقرآن أولاً جامعية مطلقة (في أمور الدين والدنيا) ، وثانيًا هذه

الجامعية المطلقة خاصة بالائمة (ع) بحيث يمكن للآخرين الاستفادة من هذه الجامعية المطلقة.

النتيجة

قد ذكر مبدأين هامين في نهج البلاغة حول جامعية القرآن الكريم؛ أولاً القرآن الكريم كتاب شامل وجامع وقد استجاب لحاجات البشر الإرشادية، بمعنى أنه لا يوجد أمر ديني أو إرشادي إلا أنه ورد في القرآن الكريم.

في نهج البلاغة وفي حالات مختلفة يشير الإمام علي (ع) إلى بنية القرآن ومضمونه ومعارفه العميقة والسامية. وفقًا للمبادئ الثانية فإن الفهم المطلق للقرآن ومعرفة ظهره وبطنه وتأويله وتفسيره خاص بأهل البيت (ع) الذين يمكنهم التعبير عن جميع أحكام ومعارف القرآن للناس حسب حجج مثل: آيات القرآن، روايات المعصومين (ع) ، بنية القرآن والسيرة العلمية والعملية للمعصومين(ع) في تواجه القرآن، وقد تم إثبات هذين المبدأين لنهج البلاغة في جامعية القرآن.

في نهج البلاغة يعبر الإمام علي (ع) عن استجواب لقرآن بمعناه الكامل خاصة لنفسه. يقدم الإمام (ع) في مناصب مختلفة اهل البيت (ع) كراسخون في العلم، وأركان الدين، وأدلة الدين، وعلماء القرآن، ومرجعية الناس في الهداية، وخزانة علم النبي (ص) وممثل أحكام الشريعة وحراس الدين.

الجامعية المطلقة للقرآن خاصة بالمعصومين (ع) الذين يدركون ظهر وبطن، وتفسير وتأويل الآيات، ويستخرجون المعارف الدينية وغير الدينية من ظهر وبطن القرآن. تتجلى العديد من تعاليم القرآن في بطنه وهو تعبير عن هذه القضايا الخاصة للمعصومين(ع)؛ إن آيات القرآن وروايات المعصومين (عليهم السلام) وبنية القرآن والسيرة العلمية والعملية للمعصومين (ع) في مواجهة القرآن من أهم البراهين لإثبات جامعية القرآن للمعصومين(ع).

جامعية القرآن للمعصومين (ع) لا تعني أن الآخرين لا يستفيدون من معارف القرآن، لكن يستفيد الآخرون من تعاليم القرآن حسب طاقتهم. لكن الجامعية المطلقة خاصة بالمعصومين(ع) والبعض الآخر بالرجوع إلى القرآن وأهل البيت (ع) معًا يتلقون الإجابة على حاجاتهم الإرشادية في أمور الدين والدنيا والآخرة. بعبارة أخرى بالنسبة لجميع ما عدا المعصومين (ع) تتم مناقشة جامعية الإسلام والتي تتكون من القرآن وسنة المعصومين(ع)، وسنة المعصومين (ع) هي أيضا على أساس القرآن.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن طاووس (١٣٦٧ش) ، ***أقبال الأعمال***، طهران: دار الكتب الاسلامية.

ابن عاشور، محمد بن طاهر (لاتا) ، ***التحرير والتنوير***، بيروت: موسسة التاريخ.

ابن فارس، أحمد (د.ت) ، ***معجم مقاييس اللغة***، قم: دار الكتب العلمية.

ابن مردويه، أحمد (١٤٢٢ه) ، ***مناقب على بن أبى طالب وما نزل من القرآن فى على***، قم، دار الحديث.

ابن منصور، سعيد (١٤١٤ه) ، ***سنن سعيد بن منصور***، رياض: دار العصيمى.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤٠٥ ه) ، ***لسان العرب***، قم: منشورات أدب الحوزه.

إسفنديارى، فرزاد، ناصح، علي أحمد (١٣٩٤ش) ، ***دراسة مقارنة للنظرية الشاملة للقرآن من منظر تفسير الميزان***، مجلة التفسير المقارن، العدد٢.

اكبر نجاد، مهدى، محمدى، روح الله (١٣٩٠) ، ***دراسة في توثيق ودلالة أحاديث "راسخون س العلم" المجلة الفصلية للدراسات الإسلامية وعلوم القرآن والحديث***، السنة الثالثة والأربعون، ٣/٨٧، الخريف والشتاء.

الأكبري دستك، فيض اله (١٣٩٤) ، ***جامعية القرآن من وجهة نظر الإمام الخميني***، المجلة الفصلية متين، العدد٦٧.

الأيازي، محمد على (١٣٨٠ش) ، ***جامعية القرآن***، رشت: منشورات كتاب مبين، الطبعة الثالثة.

آلوسى، السيد محمود (١٤١٥ه) ، ***روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم***، بيروت: دار الكتب العلمية.

البيضاوي، عبدالله بن عمر (١٤١٨ه) ، **أنوار *التنزيل وأسرار التأويل***، بيروت: دار احياء الثراث العربى.

الترمذي، محمد بن عيسى (١٤٢٥ه) ، ***سنن الترمذي***، بيروت: دار الفكر.

الثعلبي، أحمد (١٤٢٢ه) ، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الثقفى الطهرانى، محمد (١٣٩٨ه) ، ***تفسير الروح الخالد***، طهران: منشورات برهان.

جشني، ماشاءالله، خدمتكار، خديجة (١٣٨٩) ، ***دراسة جامعية القرآن في***

الموقف التفسيري لفخر الرازي وآلوسي بغدادي، مجلة الإلهيات المقارن، العدد ٣.

جعفرى، يعقوب (د.ت) ، ***تفسير الكوثر***، قم: منشورات الهجرة.

الجوادي الآملي، عبدالله (١٣٨٧ش) ، ***تفسير التسنيم***، قم: منشورات اسراء.

الجوادي الآملي، عبدالله (١٣٩٢ش) ، ***نظير القرآن وأهل البيت (ع)*** ، قم: منشورات اسراء.

الجويني، إبراهيم (د.ت) ، ***فرائد السمطين***، قم: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

حاجي، حمزه، مهريزي، مهدي (١٣٩١) ، ***كيفية جامعية القرآن في ضوء أقوال المفكرين والمفسرين المسلمين***، مجلة المطالعات القرآنية الفصلية، العدد١٠.

الحاكم النيشابوري، أبو عبدالله (د.ت) ، ***المستدرک على الصحيحين***، بيروت: دار المعرفة.

دروزه، محمد عزه (١٣٨٣ه) ، ***التفسير الحديث***، قاهرة: دار الكتب العربية.

راد، على، غلامعلى تبار فيروز جائى، فضل الله (١٣٩٢) ، ***نقد المناهج الدلالية لكلمة "نحاس" في الآية لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ***، مجلة التعاليم القرآنية، العدد١٨، الخريف والشتاء.

الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٢ه) ، ***المفردات فى غريب القرآن***، بيروت: منشورات دار القلم.

الرشاد، علي أكبر (١٣٨٠) ، ***موسوعة الإمام علي (ع)*** ، طهران: معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي.

الرفيعى المحمدي، ناصر (١٣٧٩ه) ، ***التفسير العلمى للقرآن***، طهران: منشورات نشر الثقافة.

روشن ضمير، محمد إبراهيم (١٣٩٣ش) ، ***التحقيق في دلالات تبيان لكل شئ في جامعية القرآن***، مجلة التعاليم القرآنية، العدد١٩، الربيع والصيف.

الزركشى، بدر الدين (٢٠٠١م) ، ***البرهان فى علوم القرآن***، بيروت: دار الفكر.

السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله (١٤٠٦ه) ، ***الجديد في تفسير القرآن المجيد***، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

سروش، عبدالكريم (١٣٧٠ش) ، ***أسمن من أيديولوجية***، طهران: منشورات صراط.

سعيد بن منصور (١٤١٤ه) ، ***سنن سعيد بن منصور***، رياض: دار العصيمى.

السياح، أحمد (١٣٨٦ش) ، ***المعجم الجامع الحديث***، طهران: منشورات اسلام.

السيد الرضي (١٤١٤ه) ، ***نهج البلاغة***، قم: منشورات الهجرة.

السيوطي، جلال الدين (د.ت) ، ***الإتقان فى علوم القرآن***، بيروت: دار المعرفة.

الشفيعي، علي (١٣٩٢ش) ، ***بحث في مجال التوقع من القرآن***، موسوعة القرآن الكريم.

الشوكاني، محمد بن على (١٤١٤ه) ، ***فتح القدير***، بيروت، دار الكلم الطيب.

الصدوق، محمد بن بابويه (١٤٠٠ه) ، ***الأمالي***، بيروت: منشورات الأعلمي، الطبعة الخامسة.

الطبرسى، فضل بن حسن (١٣٧٢ش) ، ***مجمع البيان فى تفسير القرآن***، طهران: منشورات ناصر خسرو.

الطبرى، أبوجعفر محمد بن جرير (١٤١٢ه) ، ***جامع البيان فى تفسير القرآن***، بيروت: دار المعرفة.

طنطاوى بن جوهرى (١٣٧٦ه) ، ***الجواهر فى تفسير القرآن***، نجف، المطبعه الطليعه.

الطوسي، محمد بن حسن (د.ت) ، ***التبيان فى تفسير القرآن***، بيروت: دار احياء التراث العربى.

عبدالرزاق نوفل (١٣٩٣ه) ، ***القرآن الكريم والعلم الحديث***، بيروت: دار الكتب العربى.

على عبدالرزاق، ***الإسلام وأصول الحكم***، قاهره: الهيئه المصرية العامة للكتاب.

الغزالي، أبو حامد محمد،***إحياء علوم الدين***، بيروت: دار الجيل.

الغضنفري، علي (١٣٩٦) ، ***بحث في الجامعية المطلقة للقرآن***، مجلة التفسير واللغة القرآنية السنة الخامسة، عدد٢.

فخر الرازى، محمد بن عمر (١٤٢٠ه) ، ***مفاتيح الغيب***، بيروت: دار إحياء التراث العربى.

القرشى، السيد على أكبر (١٣٧١ش) ، ***قاموس القرآن***، طهران: دار الكتب الاسلامية.

القمى المشهدى، محمد بن محمدرضا (١٣٦٨ش) ، ***تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب***، طهران: منشورات وزارة الإرشاد الاسلامي.

الكليني، محمد بن يعقوب (١٣٦٢ش) ، ***الكافي***، طهران: دار الكتب الاسلاميه.

المجلسى، محمدباقر (١٤٠٣ه) ، ***بحار الأنوار***، بيروت: دار احياء التراث.

محمد بن طاهر بن عاشور، ***التحرير والتنوير***، بيروت: مؤسسة التاريخ.

مسلم بن حجاج (د.ت) ، ***صحيح مسلم***، بيروت: منشورات دار الفكر.

نجار زادكان، فتح الله (١٣٨٧) ، ***نظرة للمدارس التفسيرية***، قم: منشورات كلية أصول الدين.

نوفل، عبدالرزاق (١٣٩٣ه) ، ***القرآن الكريم والعلم الحديث***، بيروت: دار الكتب العربى.

الهيثمى، ابن حجر، ***الصواعق المحرقه فى الرد على أهل البدع والزندقه***، قاهرة: مكتبة قاهرة.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال هفتم، شماره یکم، پیاپی ۱۳، پاییز و زمستان ۱۴۰۲ (۱۶۶-۱۵۳)

DOI: 10.30473/anb.2025.71976.1412

«مقاله پژوهشی»

جهان‌شمولی قرآن: میان مطلق‌گرایی و محدودیت در نهج‌البلاغه (یک مطالعه تحلیلی)

اصغر طهماسبی بلداجی

استادیار گروه علوم قرآن و حدیث، دانشگاه شهرکرد، شهرکرد، ایران.

نویسنده مسئول:
اصغر طهماسبی بلداجی

رایانامه: asghar.Tahmasebi@sku.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۰۵/۱۶
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۰۸/۲۸

چکیده

جهان‌شمولی قرآن یکی از مهم‌ترین مباحثی است که در بستر پیام قرآن مطرح می‌شود. در این باره، دیدگاه‌های مختلفی از سوی اندیشمندان دینی مطرح شده است که می‌توان آن‌ها را به سه دسته تقسیم کرد: جهان‌شمولی مطلق، جهان‌شمولی معتدل و جهان‌شمولی حداقلی. این دیدگاه‌ها و نظریه‌ها با نقدها و چالش‌هایی همراه است که مهم‌ترین آن‌ها در پرسش از استقلال جهان‌شمولی قرآن نهفته است. آیا قرآن خود دارای جهان‌شمولی است یا این جهان‌شمولی در کنار امور دیگری مانند سنت نبوی شکل می‌گیرد؟ این پژوهش با رویکرد توصیفی-تحلیلی و با تکیه بر نهج‌البلاغه، این نظریه را ارائه می‌دهد: اولاً، جهان‌شمولی قرآن در امور هدایتی است و در این زمینه، دارای جهان‌شمولی مطلق است. ثانیاً، این جهان‌شمولی ذاتی و مستقل است، به این معنا که قرآن بدون نیاز به هیچ منبع دیگری، در امور هدایتی دارای جامعیت مطلق است. اما این معارف و مفاهیم قرآنی در چارچوب معنای ظاهری و باطنی آن گنجانده شده است، به طوری که معنای باطنی آن مخصوص معصومین است که با علم الهی، معارف آن را استخراج کرده و به مردم آموزش می‌دهند. بنابراین، منبع روایات اهل بیت نیز قرآن کریم است. نتایج پژوهش تأیید می‌کند که نهج‌البلاغه به جهان‌شمولی قرآن در امور هدایتی اشاره دارد و قرآن در این زمینه دارای جهان‌شمولی مطلق و مستقل است. با این حال، درک این جهان‌شمولی منحصر به معصومین است، در حالی که دیگران می‌توانند با مراجعه به قرآن و اهل بیت به این جهان‌شمولی دست یابند.

واژه‌های کلیدی

جهان‌شمولی قرآن، امام علی، نهج‌البلاغه، اهل بیت.

استناد به این مقاله:

طهماسبی بلداجی، اصغر. جهان‌شمولی قرآن: میان مطلق‌گرایی و محدودیت در نهج‌البلاغه (یک مطالعه تحلیلی). دراسات حدیثة في نهج‌البلاغة، ۷(۱)، ۱۶۶-۱۵۳.
(DOI: 10.30473/anb.2025.71976.1412)

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۲ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.
این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)